الخطب المنبرية

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

(حفظه الله تعالى)

خطبة الجمعة بعنوان

الهجرة عظات وعبر

بتاريخ/ ١٠ محرم ١٤٤٥هـ الموافق/ ٢٨-٧-٢٠٢٣

خطبة الجمعة

الهجرة عظات وعبر

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليظهره علىٰ الدين كله وكفىٰ بالله شهيدا، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له نصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده سبحانه أشكره وأمجده تمجيدا وأشهد أن محمد عبده ورسوله شرح الله صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره صل الله وسلم عليه وعلىٰ آله وصحبه تسليمًا مزيدا.

أما بعد:

أوصيكم ونفسي بتقوىٰ الله عَزَّوَجَلَّ فبالتقوىٰ يُدرك المطلوب ويُدفع المرهوب وتُفرج الكروب قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ﴾ [الطلاق: ٢-٣]

أيها المسلمون:

إن في تاريخ نبينا محمد ﷺ عِظاتٌ وعِبر ومن أعظم أحداث حياة رسول الله ﷺ بل وللمسلمين عمومًا حدث هجرته صلوات ربي وسلامه عليه من مكة إلىٰ المدينة حيث كان هذا اليوم يومًا فارقًا مميزًا بين أولياء الله وأعداءه جعلها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مبدأً لإعزاز دينه ونصر عبده ورسوله وإظهارًا للمسلمين فمن معين الهجرة تؤخذ الدروس ومن أحداثها تُستلهم العِظات والعِبر وأول العِظات والعبر أن الصراع بين الحق والباطل قائمٌ إلىٰ قيام الساعة والأيام دول قال الله

جل ثناءه: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [آل عمران: ١٤٠]

ثم تكون الدولة للمؤمنين والغلبة لأولياء الرحمن المتقين قال سبحانه: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر: ٥١]

ومن العِظات والعبر أن الدين أغلىٰ شيءٍ عند المسلم فينبغي أن يُقدم علىٰ كل شيءٍ في حياة المسلم فالدين أولىٰ من النفس والأهل والمال والوطن من فقد الأهل فسيجد أهلينا في الجنة ومن فقد المال يدخل الجنة قبل الأغنياء بخمس مائة عام ومن فقد الوطن يجد أرض الله الواسعة لكن من فقد الدين فقد كل شيء فالدين مقدمٌ في حياة المسلم ولهذا هاجر النبي ﷺ وترك الأهل والمال والوطن في سبيل ابتغاء مرضات الله تعالىٰ.

عن بن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ وهو خارج من مكة: ما أطيبكِ من بلدٍ وأحبكِ إلي ولولا أن قومكِ أخرجوني منكِ ما سكنت غيركِ" [رواه الترمذي وصححه الألباني]

ومن العِظات والعِبر أن الله تعالىٰ لا يتخلىٰ عن نصرة أولياءه وخذلان أعداءه وإن اشتدت الخطوب وعظمت الأهوال ومهما كاد الأعداء ومكروا فإن عاقبة كيدهم إلىٰ ضلال ونهاية مكرهم إلىٰ خسران وزوال: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنفال: ٣٠]

فلا تيأس أبدًا مهما كان الحال وأعلم أن الله ناصرٌ دينك.

عباد الله:

مما يستلهم من العِظات والعِبر من الهجرة المطهرة أن المؤمن لا يفرط في الأسباب مهما كان تعلقه بالمسبب عَزَّوَجَلَّ بل يخطط ويخطط وذلك من تمام التوكل علىٰ الذي لا يموت ولقد أتخذ رسول الله ﷺ في هجرته طريقًا معاكسًا للمدينة واتجه جنوبًا اتقاءً لطلب المشركين وآوىٰ إلىٰ غار ثورٍ ملجأً واستأجر هاديًا ماهرً خريتًا بالطريق وآمنه علىٰ راحلتين له ولأب بكرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، وحمل معه الزاد للطريق وتأملوا أيها الكرام في هذا الموقف العظيم حين جدت قريشٌ في طلب رسول الله ﷺ وأخذوا يتتبعون آثار أقدامه بواسطة القافة حتىٰ وقفوا علىٰ الغار فقال الصديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: نظرت إلىٰ أقدام المشركين علىٰ رؤوسنا ونحن في الغار فقلت: يا رسول الله لو أن أحدهم نظر إلىٰ قدميه أبصرنا تحت قدميه فقال: يا أبىٰ بكر ما ظنك بإثنين الله ثالثهما" [رواه البخاري ومسلم من حديث أنسٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ]

إنها الثقة العظيمة بالله في قلب رسول الله عَلَيْهِٱلصَّلَاةُوَٱلسَّلَامُ وصدق الله: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة: ٤٠]

وفي هذا بيانٌ لفضل الصِديق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ إذ اختاره النبي ﷺ لصحبته في أصعب المواقف وأخطر الأحوال وفيه إثبات صحبته بنص القرآن وفيه دليلٌ علىٰ أهمية

حُسن الصحبة حيث اختار النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ من كان يحبه من الرجال كثيرا وفيه دليلٌ علىٰ عظيم تضحية الصِديق فلم يقل إنك مطلوبٌ وإني أخاف.

إخوة الإيمان:

من العِظات والعِبر التضحية والفِداء فكان النبي ﷺ ضحىٰ بنفسه وهاجر ولم يبالي بطلب المشركين وكيدهم ومكرهم وضحىٰ الصِديق فاختار صحبة النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وضحىٰ عليٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ فنام في مكان رسول الله ﷺ وكل صحابيٍ ضحىٰ بما يقدر وبما تيسر ولنتأمل في شأن سراقة بن مالك الذي خرج في طلب النبي ﷺ ثم إذا به يرىٰ سواد رجلين وهما النبي ﷺ والصِديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ وإذا به قد قرب غاصت يدا فرسه في الأرض ثم زجرها فنهضت ثم غاصتا مرةً أخرىٰ فقال: قد علمت أن الذي أصابني بدعائكما فادعوا الله لي ولكما أن أرد عنكما فدعَ له رسول الله ﷺ وطلبا منه أن يخفي خبرهما ففعل فلنتأمل إلىٰ عناية الله وحفظه لرسوله ﷺ وصاحبه إذ خرج سراقة بن مالك أول النهار جاهدًا عليهما طالبًا رؤوسهما وصار آخر النهار حارسًا لهما معميًا عنهما وفيه دلالةٌ علىٰ الثبات علىٰ الأمر فما تزحزح النبي ﷺ ولا خاف لأنه يعلم أن الله معه في هذه الهجرة المباركة تجلت معاني المحبة والإخاء ومن أدل صورة ما كان يفعله الأنصار إذ لما سمعوا بخروج رسول الله ﷺ إذا بهم يخرجون كل يومٍ من الغداه إلىٰ الطريق القادم من مكة حتىٰ يصبح حر الظهيرة هو الذي يردهم وحين بلغهم قدومه المدينة ثاروا إلىٰ السلاح وتلقوه بسرورٍ لا يوصف حتىٰ سُمعت الرجة

والتكبير في المدينة فرحًا بقدومه وابتهاجًا لرؤيته يقول أنسٌ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: كان أضوىٰ شيءٍ وأنوره يوم قدوم النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ أو كما قال فيما رواه الدارمي وغيره، وبقي ﷺ حين مقدمه في بني عمرو بن عوف في منطقة قباء فبنىٰ لهم مسجدا ثم ركب راحلته إلىٰ المدينة بعد وصوله اسبوعا والناس يتسابقون إلىٰ خِطامها كلٌ يقول: هلمَ إلىٰ العدد والعُدة والسلاح والمنعة وهو يقول لهم: خلو سبيلها فإنها مأمورة حتىٰ بركت في موضع المسجد النبوي فيا الله ما أعظم حب الأنصار لرسول الله ﷺ.

بارك الله لي ولكم في الوحيين ونفعنا جميعًا بهدي سيد الثقلين وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين والعاقبة لعباده المتقين ولا عدوان إلا علىٰ الظالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ينصر من يشاء من عباده وهو خير الناصرين وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله جاهد في الله حق جهاده حتىٰ أتاه اليقين اللهم صل وسلم عليه وعلىٰ آله وصحبه الذين أوو ونصروا وجاهدوا وصبروا وسلم تسليمًا كثيرًا إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فاتقوا الله عباد الله وأعملوا بطاعته ورضاه فإن من اتقىٰ الله وقاه ومن توكل عليه كفاه.

إخوة الإسلام:

إن أول خطوةٍ خطاها رسول الله ﷺ بعد نزوله المدينة في أخواله بني النجار إقامة المسجد النبوي في الموضع الذي بركت فيه ناقته عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ وساهم في بناءه بنفسه فكان ينقل اللبنة بالحجارة ويقول: اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للأنصار والمهاجرة وجعل المسلمون ينقلون مع الَّبن ويرتجزون لأن قعدنا والرسول يعملُ لذاك منا العمل المضلل، إن هذا لبرهانٌ عمليٌ ملموس علىٰ التعاون والمحبة والتضحية في مجتمعٍ مختلف الألوان مختلف الأنساب ألف الله بين قلوبهم وكان ذلك بدعوة رسول الله ﷺ وفي مبادرة النبي ﷺ إلىٰ بناء مسجد قباء ومسجده الشريف: ﴿لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ١٠٨﴾ [التوبة: ١٠٨]

إن في ذلك إشارة إلىٰ مكانة المسجد في حياة المسلمين ودلالة علىٰ أهميته في حياة المسلمين وفي الدعوة إلىٰ هذا الدين فلقد كان المسجد منارًا للعلم وروضةً للعبادة ومكانًا للألفة والمحبة والمودة وفي مؤاخاة النبي ﷺ وهو العملُ الثاني الذي قام به بين المهاجرين والأنصار وما لقيه المهاجرون من إخوانهم الأنصار من نصرةٍ ومحبةٍ وبذلٍ ومواساة حتىٰ وصل بهم الحال أن الله أخبر عنهم: ﴿وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ﴾ [الحشر: ٩]

وقالت الأنصار للنبي ﷺ: أنظروا إلىٰ عظيم الإيثار هذه أراضينا وزروعنا ونخيلنا أقسمه بيننا وبين إخواننا فقال ﷺ: لا ولكن تكفون المؤونة ونشرككم في الثمرة قالوا: سمعنا وأطعنا" [رواه البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

وفي هذا الإخاء الحقيقي المبني علىٰ الأخوة في الله ذابت عصبيات الجاهلية وظهرت فيه معاني الإيمان الجلية وتساقطت جميع الفوارق الظاهرية وأصبح الولاء والبراء للإسلام والمسلمين، وقام النبي ﷺ وهو عمله الثالث في أول مقدمه بعهد العهود مع من في المدينة من المشركين ومن اليهود وما بين المسلمين فأصبحت دولة الإسلام أول دولةٍ أقامت وثيقةً للتعايش السلمي فكان اليهودي يعيش في ظل الإسلام حتىٰ حصل منهم الخيانة فأمكن الله منهم المسلمين ونسأل الله عَزَّوَجَلَّ أن يرزقنا وإياكم الاعتبار بهدي سيدنا محمد ﷺ

اللهم أغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات، اللهم أعز الإسلام وأهله وأذل الشرك وأهله وارزقنا حبك وحب من يحبك وحب كل عملٍ يقربنا إلىٰ حبك، اللهم وفق أميرنا وولي عهده لهداك وأجعل عملهما في رضاك، اللهم يا ذا الجلال والإكرام أجعل هذا البلد أمنًا مطمئنًا سخاءً رخاءً وسائر بلاد المسلمين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.